شعر الجهاد والفتوحات الاسلامية

ان التغني بالبطولة والامجاد ظاهرة ادبية موجودة في ادب ما قبل الاسلام عرفناها في ادب الفروسية وشعر ايام العرب او مفاخر الشعراء بقبيلتهم الذي يجعلهم يمجدون بطولات فرسانها او يشيدون ببطولاتهم دفاعاً عن القبيلة او اخذاً للثأر الى غير ذلك من المعاني التي دارت على السن الشعراء الفرسان عند (عنترة بن شداد) وشعراء الصعاليك مثل عروة بن الورد والشنفرى وغيرهم من الشعراء إلا أن شعر الفروسية هذا قد تطور في العصر الاسلامي وقد دخلت فيه مفاهيم جديدة اغنته واعطته طابعاً خاصاً حين ابتعد شعراء الفرسان عن العصبية القبلية او الهوى الشخصي واكتسبت اشعار البطولة عندهم طابعاً دينياً مبعثه العقيدة الاسلامية منطلقين من قوله تعالى :

((الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ)).

واذا بالشعراء المسلمين يتغنون بابيات تثير حماسهم وحماس من معهم ويتخيلون الجنة وظلالها والامل في الشهادة في سبيل الله .

اما المعاني التي تداولها الشعراء في شعرهم :-

١. **الثبات على العقيدة** : وقد ظهرت هذه الصورة منذ فجر الدعوة الاسلامية منذ ان ظهر الاسلام بمكة والمشركون يحاولون ان يثنوا المسلمين عن الدين الجديد بشتى الطرق والوسائل فلما اعياهم ذلك لجأوا الى القوة والبطش وتعذيب المسلمين . وقد وصلت بعض الموضوعات التي عبر بها اصحابها عما يلاقونه من عذاب وهوال على ايدي المشركين فهذا عمار بن ياسر واباه وامه وعدداً من المسلمين فقال عمار:

جزى الله خيراً عن بلالٍ وصحبهِ عتيقاً وأخزى فاكِهاً وأباجَهلِ

بتوحيده ربَّ الأنامِ وقولهُ شهدتُ بأن الله ربي على مَهلِ

فإن يقتلوني يقتلوني ولم أكن لأشرك بالرحمنِ من خيفَةِ القتلِ

فيا ربَّ إبراهيم والعبد يُونُسٍ ومُوسى وعيسى نجني ثم لا تُملي

٢. **الهجرة في سبيل الله** : حين اذن رسول الله (ص) المسلمين بالهجرة الى الحبشة وجد المسلمين هناك الامن والطمأنينة . بعث بعضهم رسائل شعرية الى اخوانهم يرغبون في الهجرة فأرض الله واسعة ويستطيع المسلم ان يتأنى عن الذل والهوان كما في قول عبد الله بن الحارث :

يا راكبا بلغن عني مغلغلـــــة * من كان يرجو بلاغ الله والدينِ

كل امرىء من عباد الله مضطهد * ببطن مكة مشهور ومفتـــون

أنا وجدنا بلاد الله واسعـــــة * تنجي من الذل والمخزاة والهوان

٣. **الجهاد في سبيل الله** : لقد قيلت هذه الاشعار اول الدعوة الاسلامية فلما كتب الله لدين الاسلام ان ينتشر ، كتب عليهم الجهاد ، وأذن لهم في مقاتلة المشركين . هنا تدخل اشعار الجهاد مرحلة جديدة تعطيها نفساً خاصاً حين يشجع المسمون بعضهم بعضاً على الثبات في المعارك او الموت في سبيل الله املاً في الجنة كما في قول عمر بن الحمام يرتجز يوم بدر ثم يستشهد في المعركة نفسها اذ يقول :

رَكْضًا إِلَى الله بِغَيـرِ زَادِ وَالْصَّبْرَ فِي اللهِ عَلَى الْجِهَادِ

٤. **صور انسانية في شعر الفتوحات الاسلامية** :ولعلنا لا نبالغ اذ قلنا باننا نجد في الشعر الذي قيل في عصر الفتوحات الاسلامية اسمى العواطف الانسانية في علاقة الافراد وبعضهم ببعض وهواجسهم وتصوير ما يخالج نفوسهم من مشاعر الشوق والفرح والانفعال السريع بالانتصار وهذه الصور التي وردت في اشعارهم نستطيع ان نوزعها على مجموعتين :-

أ. **شعر المقعدين والشيوخ** :صور انسانية رائعة لم ترد على لسان المجاهدين وانما قالها الشعراء المقعدون الذين قعدت بهم شيخوختهم عن الجهاد والمشاركة فيه ولم يكتفوا بهذا بل تجاوزوه الى المطالبة بالتثبت بابنائهم ومنعهم من الجهاد لان اصحابها قد شعروا بدبيب الشيخوخة والضعف لذلك حاولوا التثبت بابنائهم لان ضعفهم الجسدي ادى الى ضعف ارادتهم وعدم قدرتهم على الصبر وتحمل الفراق كما في قول (مخبل السعدي) مخاطباً ابنه الذي شارك في الفتوحات الاسلامية فيقول :

أَيُهلِكُني شَيبانُ في كُـلِّ لَيلَةٍ لِقَلبِيَ مِن خَوفِ الفِراقِ وَجيبُ

وَيُخبِرُني شَيبانُ أَن لَن يَعُقَّني تَعُـــقُّ إِذا فارَقتَنـــي وَتَحـــوبُ

فَإِن يَكُ غُصني أَصبَحَ اليَومَ ذاوِياً وَغُصنُكَ مِن ماءِ الشَبابِ رَطيبُ

فَإِنّـــي حَنَت ظَهري هُمـومٌ تَتابَعَتْ فَمَشيي ضَعيفٌ في الرِجالِ دَبيبُ

وهذا امية بن الاسكر رسم لنا صورة انسانية مماثلة لصورة المخبل السعدي ولكنه اضاف اليها صورة زوجة فيقول :

تَرَكْتَ أَبَاكَ مُرْعِشَـــةً يَدَاهُ وَأُمَّكَ مَا تَسِيغُ لَهَا شَرَابَا

فَإِنَّكَ وَالْتِمَاسُ الأَجْرِ بَعْدِي كَبَاغِي الْمَاءِ يَتَّبِعُ السَّرَابَا

ب. **اما المجموعة الثانية من الصور هي الصور التي رسمها الشعراء المجاهدون انفسهم** :

وذلك ان روح الحماس التي طغت على الشباب جعلتهم ينضوون تحت راية الجهاد الاكبر تاركة حياة الاستقرار ، ويجب ان نتذكر ان طبيعة الجيوش انذاك مختلفة كل الاختلاف عن حالتها في الوقت الحاضر ، فقد كان الانضمام اليها تطوعاً لا اجباراً يكفي ان ينادي منادي الخليفة بان الجيوش تتوجه الى تحرير العراق او الشام او بلاد فارس حتى يسرع الرجال والمقاتلون باسلحتهم يدفعهم الايمان وطلب الثواب . هذه الروح هي التي جعلتهم يتغاضون عن الانفعالات والعواطف القوية التي تربطهم باهليهم وابنائهم فالنابغة الجعدي يصور في هذه الابيات زوجته المحبة التي ترغبهُ بالبقاء ، والخوف عليه من الموت فيقول :

باتَت تُذَكِّرُني بِاللهِ قاعِدَةً وَالدمعُ يَنهَلُّ مِن شَأنَيهِما سَبَلا
يا بِنتَ عَمّي كِتابُ اللهِ أَخرَجَني عَنكُم وَهَل أَمنَعَنَّ اللهَ ما فَعَلا
فَإِن رَجَعتُ فَرَبُّ الناسِ يُرجِعُني وَإِن لَحِقتُ بِرَبّي فَابتَغي بَدَلا
ما كُنتُ أَعرَجَ أَو أَعمى فَيَعذِرَني أَو ضارِعاً مِن ضَنًى لَم يَستَطِع حِوَلا

اما (الحتات بن ذريح) وهو احد الشعراء المجاهدين الذين حاول اباؤهم الشيوخ ان يبقوهم الى جانبهم ولكن عقيدته كانت اقوى من الاسرية واكبر من حبهِ لابيه فيقول في ابيات :

ألا من مبلغ عني ذريحا فإن الله بعدك قد دعاني
فإن تسأل فإني مستقيد وإن الخيل قد عرفت مكاني

وهكذا كانوا يتسابقون الى الجهاد ، لايعبأون بأهليهم الذين يناشدونهم عجزهم وضعفهم ، فيضربون بكل هذا عرض الحائط ايثاراً للاخرةِ وحباً في الثواب ، ومن جهة اخرى نجد ان الخنساء الشاعرة المعروفة تدفع ابنائها الاربعة الى الجهاد ، وقد اخذت توصيهم قائلة : (إنكم أسلمتم طائعين، وهاجرتم مختارين، والذي لا إله إلا هو إنكم لبنو رجل واحد كما أنكم بنو امرأة واحدة، ما خنت أباكم، ولا فضحت خالكم، ولا هجّنت حسبكم، ولا غيرت نسبكم، وقد تعلمون ما أعد الله للمسلمين من الثواب الجزيل في حرب الكافرين، واعلموا أن الدار الباقية خير من الدار الفانية) . وفي ذلك يقول احد ابنائها :

فقال أولهم:
يا إخوتي إن العجوز الناصحة قد نصحتنا إذا دعتنا البارحة
بمقالة ذات بيان واضحة وإنما تلقون عند الصابحة
من آل ساسان كلاباً نابحة قد أيقنوا منكم بوقع الجائحة
وأنتم بين حياة صالحة أو ميتة تورث غُنماً رابحة

ويتقدم أخوه الثاني لساحة القتال وهو يرتجز ، قائلاً:
والله لا نعصي العجوز حرفا قد أمرتنا حَدَباً وعطفا
نُصحاً وبراً صادقاً ولطفا فبادروا الحرب الضروس زحفا
حتى تلفوا آل كسرى لفا أو تكشفوهم عن حماكم كشفا
إنا نرى التقصير منكم ضعفا والقتل فيكم نجدةً وزلفى

٥. **وصف المعارك**: واذا كان شعر الفتوحات قد صور العقيدة كما مر بنا ، فان الشعراء استمروا على ما عرفه الشعر قبل الاسلام من وصف المعارك والقتلى مما يمكن ان يعد استمرار له كما في قول جرير بن عبد الله البجلي فيقول :

تَذَكَّرْ هَدَاكَ اللهُ وَقْعَ سُيُوفِنَا بِبَابِ قُدَيسٍ وَالمكرُ عَسِيرُ
إِذَا مَا فَرَغْنَا مِنْ قِرَاعِ كَتِيبَةٍ دَلَفْنَا لأُخْرَى كَالجِبَالِ تَسِيرُ

٦. **وصف طبيعة البلاد المفتوحة**: وهناك صور اخرى تتعلق بشعر الفتوحات الاسلامية وهي التي قيلت في الوصف واهميتها متأتيه من انها تمثل مادة جديدة اضيفت الى فن الوصف الذي برع فيه شعراء ما قبل الاسلام . لقد اعتاد العربي على وصف فرسهِ وناقتهِ لانهما اساس حياتهِ ولا عجب ان نجد في شعراء الفتوحات (الشكوى) فنقرأ شعراً لاحد المجاهدين يصور هجلهُ في المتاعب والسفر ليلاً ويجيبه الشاعر بانهما متساويان في هذا البلاء فيقول :

شَكَا إليَّ جَمَلِي طُولَ السُّرى ... ...صَبْراً جَميلاً فَكِلانَا مُبْتَلَى

٧. **الرسائل الشعرية**:

ومن الميادين الطريفة التي استخدم فيها الشعر ايصال فكرة الشاعر على شكل رسالة شعرية ، وقد كتب الجنود ابياتاً من الشعر بعثوها الى الخليفة او قائدهم مخبرين عن حالهم تارة منبهين الخليفة الى حالة خلاف تحدث بينهم وبين قائدهم كما في قول احد الشعراء بعث بها الى الخليفة عمر (رض).

ابلغ امير المؤمنين رسالة فانت امير الله في النهي والامر
وانت امين الله فينا ومن يكن امیناً لرب العرش يسلم له صدري

٨. **الحنين الى الوطن ورثاء النفس** :

ولعل اروع اشعار الحنين تلك التي نجدها في اشعار الذين احسوا بدنوا اجلهم فتذكروا اهلهم واحباءهم وتشوقوا اليهم ورثوا انفسهم رثاءاً رائعاً زاخراً بالعاطفة الصادقة .وقال الشاعر مالك بن الريب :

أَلا لَيتَ شِعري هَل أَبيتَنَّ لَيلَةً بِجَنبِ الغَضا أُزجي القَلاصَ النَواجِيا
فَلَيتَ الغَضا لَم يَقطَعِ الرَكبُ عرضه وَلَيتَ الغَضا ماشى الرِّكابَ لَيالِيا
لَقَد كانَ في أَهلِ الغَضا لَو دَنا الغَضا مَزارٌ وَلَكِنَّ الغَضا لَيسَ دانِيا

وهكذا وجدنا ان ظهور الاسلام وما اقتضى من تجنيد المسلمين للدفاع عن العقيدة ونشرها خارج الجزيرة وكل ذلك دفع الشعر العربي نحو حركة شعرية كبيرة ، عبر فيها الشعراء عن الظروف التي استجدت في حياتهم كما عبروا عن مشاعرهم واحاسيسهم مما اغنى الشعر في هذه الفترة بموضوعات وافكار بعضها لم تعرف من قبل ، والبعض الاخر يشهد تطوراً لما قيل من اشعار سابقة .

الغزل في العصر الأسلامي

ان التعرف الى شعر الغزل في الفترة الاسلامية يضعنا امام طائفتين من الشعراء .

الطائفة الاولى : طائفة الذين اسلموا ولكن نفوسهم لم تبرأ من خلال الجاهلية ولم تصف من كل آثارها ، ولذلك لم يستطيعوا ان يبقو كما كانوا عليه في الجاهلية من الشراب ، وضعفهم امام النساء ، وإسراف فريق منهم في هذه الأمور اسرافاً يوشك حد الجنون .

الطائفة الثانية : طائفة الولاء الذين انقادوا للحياة الجديدة وآمنوا بمثلها والتزموا حدودها .

ونكون دققنا احوال الطائفة الأولى وسنختار من بينهم شاعرين يختلفان في الروح كما يختلفان في الاداء ، فاما احدهما فقد استبدت بالخمرة وغلب عليه التصريح ، وذلك ابو محجن الثقفي فقد استبد به الهوى وغلبت عليه ، وذلك هو حميد بن الثور الهلالي .

شاعر الخمرة في عصر صدر الاسلام .

/ابو محجن الثقفي/

هو ابو محجن بن عبد الله ابن جيب من الشعراء المخضرمين الذين ادركوا الجاهلية والاسلام وهو شاعر فارس من آولي البأس والنجدة ، ولكنه كان من المعاقدين على شرب الخمر والحق ان حياة ابو محجن الثقفي توشك على ان تكون صورة واضحة لهؤلاء الذين دخلوا في الدين الجديد وقد ظل عالقاً في نفوسهم شيء من اهوائهم المستحكمة وعاداتهم الاولى لم يستطع الفكاك منها ولا الانصراف عنها ويشبه ان يكون ابو محجن الثقفي كالمغلوب على امره بود لو انه انقاذ الى ما يآمره فيه الاسلام من الاقلاع عن الخمر ، ولكنه كان ضعيفاً قاصراً اما اغرائها والصبر عليها .

ونلاحظ انه لم يستطيع العيش في مكة او في المدينة حيث كانت مهد الدعوة ومقر الخلافة ، لذلك اندفع نحو الامصار والبوادي للعيش فيها من اجل ان ينجو من العقاب او اقامة الحد عليه .

ويقول في وصف الخمرة :

إذا مُتُّ فادفِنّي إلى جَنب كَرمَةٍ ... تُرَوّي عظامي بعد موتي عُروقُها
ولا تَدفِنَنّي بالفلاةِ فإنّني ... أخافُ إذا ما مُتُّ أن لا أذوقُها
وتروي بخمر الحص لحمي فانني ... أسير لها من بعد ماقد أسوقها

وقد سجن وقام الخليفة بجلده بسبب المشاهرة في شرب الخمر وعندما خرج من السجن اخذ يقول :

الم ترَ أن الدهرَ يعثر بالفتى * ولا يستطيع المرء صرف المقادرُ
وإني لذو صبر وقد مات إخوتي * ولست على الصهباء يوماً بصابرُ

الشاعر حميد بن ثور الهلالي

لقد واجه حميد مثل الذي واجه ابو محجن الثقفي من قبل .

واجه حياة جديدة لاتريد ان ان يتسلط الشعراء فيها على ذكر النساء ويطلقوا السنتهم بالتشبيه بهن ، كما واجه ابو محجن حياة جديدة تحرم الخمرة وتأبى على النساء ان ينساقوا اليها .

وواجه حميد المنع والحد قبل الذي واجه ابو محجن ، ولم يستطع كلا الشاعرين ان يصمت عن قول الشعر في ذلك وان يخرس شيطانه في نفسه ... ولم ولم يستطيعا ان يفعلا كما فعل لبيد وكلاهما كان فيما يبدو على حد تعبير ابي محجن صاحب شراب وصاحب لهو في الجاهلية . ومن اروع ما قالهُ حميد بن ثور :

خَليلي إنّي مُشتَكٍ ما أَصابَني ... لِتَستيقِنا ما قَد لَقيتُ وَتعلَما
أُملّيكُما إنَّ الأَمانَةَ مَن يَخُن ... بِها يَحتَمِل يَوماً مِنَ اللهِ مأثَما
فَلا تَفشِيا سِرّي وَلا تَخذُلا أَخاً ... أَبثَّكُما مِنهُ الحَديثَ المُكتَّما
لِتَتخِذا لي بارَكَ اللَّهُ فيكُما ... إلى آلِ لَيلى العامِرِيَّةِ سُلَّما
وَقَولا إذا جاوَزتُما آلَ عامرٍ ... وَجاوَزتُما الحيّين نَهداً وَخثعَما

*اختلاف الاسلوب بين الشاعرين *

لم يكن طريق الشاعرين في التعبير واحداً ، وانما سلكا طريقين مختلفين ، وقف احدهما من حيث ، الصراحة التعبير ، او تعميته على الطرف الآخر من موقف صاحبه ، فأبو محجن لجأ الى صراحة التعبير وشعره لايعرف الاستحياء ولا التستر ، اما حميد فقد كان اقرب الى الكياسة والتكيف مع الحياة الجديدة . ومن هنا تنوع اسلوب حميد ، واكتسب كثيراً من التلوين ، وكثيراً من المرونة ، واستطاعت هذه الحاجات النفسية الملحة ان تكشف عن بعض المناحي الاسلوبية في شعر الشاعر وهي منحى (الكناية ، الرمز ، القصص) وهو متأثر بالحياة الجديدة وقال

١. الكناية قوله :

فيا طيب رياها ويابرد ظلها **** إذا هان من حامي النهار ودوق

الواضح من هذه الابيات ان الشاعر لايقصد الشجرة ، وان الذي يحيا في ذهنه لم يكن النبتة وانما هي الانسانة التي احبها ولكنه لم يجد سبيل للتعبير عن حبه فلجا الى اسلوب الكناية .

٢. الرمز:

ولم تكن الكناية وحدها في شعر حميد ، وانما كان هناك شيء ابعد منها واعم ، واذهب في التغطية والتستر وهو اسلوب الرمز . فقد استعان الشاعر على (الوصف والحديث) عن حبه بهذا اللون الجديد فتحدث الشاعر عن الحمامة حديثاً كل مواده تنسب من عالم الطير ولكن دوافعها العميقة وكل تلاوينه الداخلية من هذا

العالم النفسي الذي يضطرم في اعماق الشاعر (عالم الحب) وانك لتقرأ ابيات الشاعر وتحس هذا التقابل الذي يقيمه حميد بن ثور بين هذين العالمين في كثير من من الدقة والبدعة :

عَجِبتُ لها ، أنى يكون غِنَاؤُها فَصِيحاً ، ولمْ تَفْغَرْ بِمَنطِقها فَمَا
،فَلَمْ أرَ مَحزوناً لَهُ مِثْلُ صَوتِها ولا عربياً شاقهُ صَوتُ أعْجَمَا

٣. القصة :

الاغراض الشعرية التي تناولها الشعراء الاسلاميون

١. **الفخر** : يقسم على نوعين :
الاول: فردي ذاتي يتحدث فيه الشاعر عن فضائله ويبين ما يمتاز به من كرم الخصال ومحمود الصفات .
الثاني : يوضح فيه الشاعر محاسن قومه ويجني مأثرهم ويشيد بهم او يتحدث عن جماعة المسلمين الذين امنوا بالدين الجديد وقد تطور هذا الفن على يد الشعراء الاسلاميون تطوراً كبيراً يمكن ان نلمسه اذا استقصينا المأثر التي فخر بها هؤلاء الشعراء ، فلم يعد يفخر شاعر باعلاء كلمة القبيلة او رفع شأنها او كسب الغنائم او سبي النساء.

١. بل يفخر بهداية الله تعالى والاعتزاز والاتباع لرسول الله (ص) كما في قول الشاعر الذي يقول :

تابعت دين محمد ورضيته كل الرضا لأمانني ديني
ذاك امرء نازعته قول العدا وعقدت فيه يمينه بيميني

٢. كما فخر الشعراء بنيل الشهادة في سبيل الله تعالى وتأييد الملائكة لهم في القتال كما في قول كعب بن مالك :

ويوم بدر لقيناكم لنا مدد فيه مع النصر ميكال وجبريل
إن تقتلونا فدين الحق فطرتنا والقتل في الحق عند الله تفضيل

٣. كما فخر بالهدايا كما في قول عوام بن جميل اذ يقول :

ومن مبلغ عنا شآمي قومنا ومن حل بالأجواف سراً وجهراً

بأنا هداها الله للحق بعدما تهود منا حائراً وتنصرا

٤. كما فخر الشعراء بالدين الجديد والايمان بالله سبحانه تعالى والدفاع عن الدين الاسلامي كما في قول كعب :

يذود عن ديننا ونذودهم عن الكفر والرحمن داء وسامع

اذا نحايظونا في مقم اعاننا على غيظهم نصر من الله واسع

اجبت رسول الله اذا جاء بالهدى فاصبحت بعد الجهد لله او حرى

لم تمنع هذه المعاني الجديدة ان يفخر الشعراء الاسلاميون ببعض المأثر الجاهلية لان الاسلام له أثر كثيراً في المسلمين واقر بعض الموضوعات مثل الحلم الذي لا يخالطه الجهل واطعام الناس حيث يعمهم القحط والجود بكل ما تحويه الايادي والشجاعة كما في قول كعب بن مالك وهو يرثي الحمزة (عليه السلام) :

جوادٍ لَدَى الغَايَاتِ لا وَاهِنِ القُوى جَرِيءٍ عَلَى الأَعْدَاءِ فِي كُلِّ مَشْهِدِ

عَظِيمِ رَمَادِ القِدْرِ فِي كُلِّ شَتْوَةٍ ضَرُوبٍ بِنَصْلِ المَشْرَفِيِّ المهنَّدِ

٥. فخر الشعراء بالوفاء وهي من ابرز الخصائص التي عرفها العربي كما في قول الشاعر عقبة بن النعمان العنكي :

وفينا وفينا يفيض الوفاء ** وفينا يفرخ افراخه

كذاك الوفاء يزين الرجال ** كما زين الصدق شمراخه

وفينا لعمرو وقلنـــــــا ** له وقد نفخ الراي نفاخه

٦. كذلك الوفاء يزين الرجال كما يزين الصدق شراخا وقد يمزج الشعراء الاسلاميون الفخر بالحماسة فيتحدث عن شجاعتهم وبطولاتهم كما فعل الشعراء الجاهليين كما في قول كعب :

فسارُوا وسرْنا والتقينا كأنّنا ... أسودُ لقاءٍ لا يرجّى كليمُها
ضربناهُمُ حتّى هوَى في مَكَرِّنا ... لمنخَرِ سوءٍ من لؤيٍّ عظيمُها

وقال آخر :

هل جاء رسول الله اني حميت صحابي بصدور النبال

كما تحدث الشعراء عن رماحهم وسيوفهم كقول بجير بن زهير بن ابي سلمى :

ذهبنَا وَالْجِيَادُ تَجُولُ فِيهِمْ بِأَرْمَاحٍ مُقَوّمَةِ الثِّقَافِ

نخلص الى القول الى ان هؤلاء الشعراء حين كانوا يصفون اسلحتهم احسن الصفات وينعتونها بأحسن الصفات انما يفعلون ذلك للتدليل على فضل حاملها وبطولته في المعركة .

٢. المديح :

لم يكن المديح في شعر الفترة الاسلامية كثيراً؟ فقد كان يعده المسلمون مظهراً من مظاهر الابهة والتضخم والكبرياء وكل هذه الصفات نهى عنها الاسلام بل اوصى بضدها فالنبي محمد (ص) لم يكن راغباً ان يمدحه الشعراء كما كانوا يمدحون الملوك بل كان همه ان ينصرف الشعراء الى تأكيد أمور الدين الجديد والعمل على نشره بين الناس وتميز المديح في العصر الاسلامي بأنه مديحاً سياسياً وهذه المبادئ حاولوا الشعراء تأكيدها في شعرهم كما في قول احد الشعراء يمدح رسول الله (ص) والشاعر هو **أسيد بن أبي إياس:**

وَأَنْتَ الْفَتَى تَهْدِي مَعَدًّا لِدِينِهَا بَلِ اللَّهُ يَهْدِيهَا وَقَالَ لَكَ: اشْهَدِ

ومن المبادئ التي اكدها الشعراء في شعرهم الايمان بقيادة رسول الله (ص) لهم وتاكيد فضله على الامة اذ جمع الامة بعد فراق واصلح امرها بعد ضال ولذلك يقول الشاعر :

لَمَّ الإلهُ به شَعْثاً ورَمَّ به أُمُورَ أُمَّتِه والأَمرُ مُنْتَشِرُ

ومن المناقب التي امتدح بها الشعراء في شعرهم رسول الله (ص) الصدق في الدعوة وتبليغ الرسالة وفي ذلك قول رافع بن عمير :

فألقيت النبي يقول قولاً صدوقاً ليس بالقول الكذوبِ

ومن المناقب الجديدة التي امتدح الشعراء رسول الله (ص) العدل في السيرة والالتزام بالحق كما في قول النابغة الجعدي الذي يقول :

وساويت بين الناس في الحق فاستوى ... فعاد صباحاً حالك الليل مظلم

كما تغنى الشعراء بانه شفيع الامة يوم القيامة كما وصفه عبد الله بن رواحة فقال:

أنتَ النَّبيّ ومن يحرمْ شفاعتَهُ ... يوم الحسابِ فقد أزرى به القدرُ

وقد تطرق الشعراء في معرض مدحهم لرسول الله وذكر معجزاته (ص) فيقول الشاعر :

فـــإن يك موسى كلم الله جهرة * على جبل الطور المنيف المعظم
فقد كلم الله النبي محمـــــداً * على الموضع الاعلى الرفيع المعظم

الى جانب هذه المناقب الاسلامية امتدح الشعراء الرسول (ص) في بعض القيم الجاهلية مثل الكرم والوفاء فقال مالك بن عوف :

مَا إنْ رَأَيْتُ وَلَا سَمِعْتُ بِوَاحِدٍ فِي النَّاسِ كُلِّهِمُ كَمِثْلِ مُحَمَّدِ
أَوْفَى فَأَعْطَى لِلْجَزِيلِ لِمُجْتَدِي وَمَتَى تَشَأْ يُخْبِرْكَ عَمَّا فِي غَدِ

٣. **الهجاء :**

لقد شهر سلاح الشعر بجانب سلاح الحرب منذ بدأ الصراع بين الاسلام وخصومه فتلاهم الفريقان في اللسان كما تلاهم في السنان ودفع كل فريق بشعرائه الى المعركة ويصور حسان بن ثابت في شعره فيقول :

لنا في كلّ يومٍ منْ معـــــدٍّ سِبابٌ، أوْ قِتَالٌ، أوْ هِجــاءُ
فنحكمُ بالقوافي منْ هجانا، ونضربُ حينَ تختلطُ الدماءُ

وقوله :

هجوتَ محمداً، فأجبتُ عنهُ، وعندَ اللهِ في ذاكَ الجزاءُ
أتَهْجُوهُ، وَلَسْتَ لَــهُ بِكُفْءٍ، فَشَرُّكُما لِخَيْرِكُمَا الفِـداءُ

وحين توافر شعراء الكفر والمشركين على هجاء رسول الله (ص) ادرك الرسول ما لهذا السلاح من آثر من تعويق الدعوة وتنفير الناس عن الدين الجديد فحاولوا ايقاف تأثيره بأضماد انفاس من تصدى لهذه المهمة من المشركين فأهدر دم كثيراً من الهجائيين المشركين ، فأمر بقتل عصماء بنت مروان التي كانت تقول شعراً تعيب فيه الاسلام وتحرض على النبي (ص) فقتلها عمير بن عدي وامر بقتل كعب بن الاشرف الهودي الذي كان يهجوا الرسول (ص) ويحرض المشركين عليه اذ قال : (اللهم اكفني ابن الاشرف فيما شئت في اعلانه الشعر وقوله الاشعار) فقال محمد بن سلمه (انا له يارسول الله فقتله) ولما جاءت تشكو قتله قال (ص) : (لو فر كما فر غيره لما قتل) .

وعندما هجا كعب المشركين في احدى قصائده قال رسول الله (ص) : (والذي نفسي بيده لهي اشد عليهم من رشق النبل) . وقوله لحسان : (اهجوهم وروح القدس معك) .

ويكون الهجاء عادة كالمدح والفخر فردياً خاصاً بشخص معين او اجتماعياً يشمل القبيلة او القوم وقد شمل الهجاء الاسلامي هذين النوعين وهو في كل هذين النوعين لم يكن معرضاً الى اعراض الناس او القذف بالوان الشتم بل هجاء لمن ظل عن الطريق وتنكيب طريق الهداية .

اما معانيه فهي المعاني السلبية التي تقابل المثل والمناقب التي كان الشعراء ينون عليها معاني مدحهم وهذا الاسلوب هو اهجأ الاساليب ، فكلما كثرت اصناف المديح في الشعر كان اهجأ ومن المعاني التي تناولها الشعراء (نقض العهد) كما في قول الشاعر :

تركتم جاركم لبني سليم مخافة حربهم عجزاً وهونا

ومن المعاني التي تناولها الشعراء (انحطاط الشأن والقصور من بلوغ المعاني) كما في قول الشاعر :

قصرت يا عبد الإله عن العلى سيكفيك ما قصرت عنه سعيد

ومن المعاني التي تناولها الشعراء (الجبن والضعف والفرار من المعركة) كما في قول حسان يعير عكرمة بن جهل عندما فر من معركة الخندق :

فر وألقى لنا رمحـــــه لـــعلك عكرم لم تفعـل
ووليت تعدو كعدو الظليم ما إن تجور عن المعدل

من اهجأ الاساليب التي سلكها الشعراء المسلمون سبيل (التعبير بالوقائع والايام والالقاب والانساب). قال حمد بن سيرين كان يهجوه الانصار حسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة فكان حسان يحارظهم بمثل قولهم بالوقائع والمأثر ويعيرهم بالمثالب ، وكان عبد الله بن رواحة يعيرهم بالكفر فكان في ذلك الزمان اشد القول عليهم قول حسان وكعب واهون القول عليهم قول عبد الله بن رواحة هذه السورة التي طبع بها الهجاء قريش للمسلمين الرسول (ص) لم ينهى قومه عن هذا المنهج بل ثبت انه كان يأمرهم (ص) بقوله : (قولوا لهم مثلما يقولون لكم) . ذلك ان هذا المنهج كان يؤثر في المشركين ويخوفهم اما تعيرهم بالشرك والاوثان لم يكن يجدي معهم نفعاً لأنها كانت عقيدتهم التي يؤمنون بها ودينهم الذين يؤمنون به .

وكان حسان ابرز الشعراء المسلمين تعريفاً بالانساب وقد شجعه على ذلك ما وجده من رسول الله (ص) من رضا وفي ذلك يقول في ابي سفيان فيقول له :

لقدْ علمَ الأقوامُ أنّ ابنَ هاشمٍ ** هوَ الغُصْنَ ذو الأفنانِ لا الواحدُ الوَغْدُ
وما لكَ فيهمْ محتدٌ يعرفونهُ ** فدونكَ فالصق مثلَ ما لصقَ القردُ

وهجا بني عوف بنسبهم الى قريش فيقول :

سل قريش واحلافها متى كان لها عوف ينتسبُ

وتعير الشعراء بالوقائع قول حسان يهجو المشركين يوم بدر فقال :

لقد علمت قريش يوم بدر وذات الاسر والقتال الشديد

ولقد سلك الشعراء اسلوب التهديد والترعيب والوعيد وارعاب اعدائهم وادخال الوهم في قلوب المشركين فقال كعب :

قضيْنا مِن تِهامَةَ كلَّ ريبٍ ... وخيبَرَ ثمَّ أجمعْنا السُّيوفا
نخيِّرُها ولوْ نطقتْ لقالتْ ... قواطعهنَّ دَوْساً أوْ ثَقيفا

وقد عير خصومهم بالالقاب التي تؤلمهم وتؤذيهم كما في قول كعب معيراً قريش :

جاءت سخينةُ كي تغلب ربها فلتغلبن مغالب الغلاب

وحين سمع رسوال الله (ص) هذا البيت قال : لقد شكرك الله يا كعب على هذا البيت ، ونعت حسان او جهل بما يؤذيه فقال :

سماهُ معشرهُ أبا حكـــمٍ ** واللهُ سمـــاهُ أبا جهـــــلِ

وسلك الشعراء سبيل السخرية والتهكم والاستهزاء بالمهجو ليضحك منه الأخرين مثل قول حسان يهجو المغيرة بن شعبه :

لَوَ أنّ اللّؤمَ يُنسَبُ كان عَبْداً ** قَبِيحَ الوَجْهِ أعْوَرَ مِنْ ثَقِيفِ

وقد اعتمد بعض الشعراء اسلوب التفضيل او المقارنة فيمدح رجلاً ويذم آخر كما في قول حسان لابن الزعبر :

تلكَ أفعالنا، وفعلُ الزبعرى خامِلٌ في صَديقِهِ، مَذْمومُ

ومع هذه الصور الجاهلية فلم يمتنع الشعراء الاسلاميين من ذكر بعض المعاني الاسلامية فيكون بغيرهم بالشرك وعبادة الاوثان وسرق المنقلبة كما في قول كعب:

فكبَّ أبو جهل صريعا لوجهه وعتبة قد غادرنه وهو عاثر
فأمسوا وقود النار في مستقرها وكل كفور في جهنم صائر

وكان رسول الله قد قال أقبلوا فولوا وقالوا : إنما أنت ساحر

نود ان نذكر ان ما عرضنا من صور ومعاني في هذا العصر تشير الى ان الهجاء لم يكن متأثراً كما يتوقع المرء بالمثل الدينية الجديدة. وقد يكون لموقف الرسول (ص) اثر في شعر الهجاء بقوله :(قولوا لهم مثلما يقولون لكم) .